اللغة والتواصل

مرزوقي وسيلة(طالبة دكتوراه):جامعة تلمسان-الجزائر
Sissila_13yahoo.fr

مقدمـــــــــــة:

يبدو السؤال عن اللغة بمثابة السؤال في بعدها الرمزي و دلالاته المتعددة ، و إذا كانت اللغة بوصفها ميزة إنسانية هي دلالات على وحدة الإنسان ، فإن اختلاف الألسن و تعدد مستويات الكلام هو ما يحيل على الكثرة فيه، فالإنسان من جهة كونه "حيوان رامز" على حد عبارة الفيلسوف الألماني (أرنست كاسيرير) يطمح إلى تشيد نظام رمزي يوسع من عالمه و يتسنى من خلاله بعدا جديدا و يتحد تخته من أجل تحقيق التواصل الإنساني في بعد الاجتماعي لاسيما و أن اللغة بنية رمزية نعني من خلالها العالم و هي تتوسط العلاقة مع الآخر إما وصلا أو فصلا حسب طرق توظيفها و تكشف وجودي للعالم ككينونة رمزية و وجود لغوي بحيث تتحول إقامة الإنسان من السكن في العالم الطبيعي إلى الإقامة في العالم الرمزي .[1]

و بما أن الإنسان كائن يبحث عن التفرد و الخصوصية فإنه يسعى عبر فعل اللغة و الكلام إلى إضفاء المعنى على وجوده الخاص عبر ما تتيحه مختلف الأنظمة الرمزية من تنوع و كثرة و تعدد يؤدي حتما إلى إنتاج دلالات متنوعة للعالم الإنساني يتسع بازدياد الفاعلية الرمزية لدى الإنسان بحيث استحال الوجود الإنساني إلى وجود رمزي تحول بموجبه فعل الترميز إلى كيفية وجود و رؤية للعالم لدرجة أصبح فيها الإنسان غير قادر على مواجهة الواقع مباشرة و لا بمقدوره " التحديق فيه وجها لوجه " بما يستدعي ضرورة تدخل الوسائط الرمزية المختلفة كالأسطورة و الدين و الفن و اللغة بها هي نافدة الكثرة الإنسانية التي يطل بها الإنسان و منها على العالم ، فإذا كان الإنسان واحد باللغة فإنه كثرة بالألسن و إذا كان يتوحد ضمن انتمائه لدائرة القدرة على إنتاج الرموز من بين بقية الكائنات الأخرى فإنه كثرة من زاوية أن لكل ثقافة رموزها الخاصة بها .[2]

لكن إذا كان لكل ثقافة أنظمتها الرمزية و لكل مجموعة بشرية لسانها الخاص الذي تكلمه فإن السؤال الذي يطرح هنا هو : كيف للإنسان أن يلتقي بالإنسان و كيف يغدو التواصل ممكنا ؟ هل من الممكن أن يحدث اللقاء بين الأنا و الآخر في ظل هذا الاختلاف ؟ و إن كان الأمر ممكنا فما هي شروط التواصل و مستوياته ؟ و خاصة تلك المتعلقة بالمستوى اللساني ؟ و هل حقا تعتبر اللغة أداة مثلى لإنجاز التواصل الإنساني و التقريب بين مختلف الشعوب و الثقافات و تبلغ ما تشعر به من ألم و حزن و فرح و حب تجاه الآخر الإنساني و مشاركته الوجدانية لنا مثلما نشاركه وجدانيا ؟ أم أن التواصل في بعده اللساني ما هو إلا إقناع لممارسة الهيمنة على الآخر و هي لغة حافلة بالرغبة و الذين و هي لا تخرج من كونها مجرد خطاب ينتهز الفرصة لممارسة كل أشكال التسلط و القمع و التمويه و أن أقصى ما يمكن أن نعرفه عن اللغة أنها تخفي ما نريد قوله ؟ و رهاننا في ذلك هو تجاوز الرؤية السطحية للغة بوصفها أداة نزيهة و محايدة و وسيط رمزي أمثل لتواصل مع الآخر الإنساني .[3]

---

[1] -مرتاض عبد الجليل ، اللغة و التواصل ، دار الهومة الجزائر ، 2000 ، ص 22

[2]- يول جورج ، معرفة اللغة ، ترجمة محمود حافظ ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط1 2000 ، ص 105 .

[3]-محجوب فاطمة ، دراسات في علم اللغة ، دار النهضة ، القاهرة ، ط1 ، 2004 ، ص 10 .

ما من شك أن اللغة خاصة إنسانية مميزة و منظومة رمزية تحقق عملية الوعي بالذات كما تمكن من الوعي بالعالم الآخر ، فهذا الأمر لا يختلف فيه اثنان ومنة هنا تأتي أهمية اللغة و ما تلعبه من دور وظيفي في عملية التواصل[1]، هذا الدور حمل اللغة اهتماما من قبل الفلاسفة و الألسنيين والبنيويون الفينومينولوجيون، بحيث حاولت أن تدرس كل واحدة من هذه المدارس اللغة من زاويتها .

و في هذا الإطار يمكن أن نقدم أفكار و آراء عن هذه المواقف وكيف نظرت لإشكالية اللغة و علاقتها بالتواصل :

فمن وجهة نظر الفلاسفة الكلاسيكية :

إذ يعتبر أفلاطون أن أصل نشوء اللغة عند الإنسان هو تقليد لأصوات و رموز و الإشارات المتواجدة في الطبيعة بما فيها أصوات الحيوان ، و هذا التقليد هو الذي ساعده على التأصل فاكتسب لغة من الطبيعة و الحيوان ، فمن وجهة نظر الفلاسفة "ديكارت و روسو" ركزت اهتمامها حول البحث في أصل اللغة كما ذكر سابقا ، و بما أن البحث في الأصل هو خاصية و ميزة الفلسفة الميتافيزيقية فإن هذا المبحث جعلها تصطدم بمعضلة لا تخل لها ككل معضلة يصطدم بها الفكر الميتافيزيقي ، و تتمثل هنا في علاقة الفكر باللغة و تدور حول الإشكالية " هل الفكر يسبق اللغة أم اللغة تسبق الفكر ؟ " .

غير أن بظهور عالم اللسانيات أعتبر هذا المبحث فاقد القيمة و أصبح رهان البحث في أصل اللغة رهانا خاسرا و محاولة عبثية لا جدوى منها و من هنا تأتي المرحلة الثانية و هي المتعلقة بالمرحلة الألسنية .[2]

نعني بالمرحلة الألسنية هي الفترة التي نشأت فيها علوم اللسان أو علوم اللغة التي تأسست على يدي العالم الألسني "دي سوسير" و كل من "رولان بارت" و "بنفيست" و من سيأتي من بعدهم الألسونيين، ولم تهتم الألسنة بأصل اللغة و إنما ركزت على بنيتها الذاتية و مكوناتها و آلية إشتغالها حيث عمل "دي سوسير" على التميز بين اللسان و الكلام مبينا أن الأول يتميز بخاصية قهرية إلزامية و هو تعاقدي اصطلاحي ، أما الكلام فهو يعبر عن الفردية و يرتبط أكثر بالحرية كما قسم العلامة اللسانية إلى دال و مدلول و اعتبر العلاقة بينهما اعتباطية .

أما الدال فهو المكون الصوتي للعلاقة (الصورة السمعية) سلسلة الأصوات للكلمة .

أما المدلول فهو المكان المعنوي (الصورة الذهنية)[3]

كما ميز "دي سوسير" بين ثلاث مصطلحات :

1- المصطلح الأول : (le langage) و يعني اللغة بصياغة عامة أو بمعنى الملكة اللغوية .

2- المصطلح الثاني : (la langue) و يعني اللغة المعنية(العربية)

3- المصطلح الثالث : (la parole) و يعني الكلام (parole) فقد اشتمل هذا التمييز على مميزات مستقلة :

1- أن اللغة نظام من الموصفات و العلاقات التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع لغوي معين و تتيح لهم الاتصال اللغوي فيما بينهم ، و أما الكلام فهو كلام الفرد أو المنطوقات الفعلية نفسها أي التمثيل المادي اللفظي للغة .

2- تتميز اللغة عن الكلام أنها تميز ما هو موجود بالقوة و ما هو موجود بالعقل .

---

[1] - محسن محي الدين ، انفتاح سنة اللساني ، دار الفرحة ، القاهرة ، 2003 ، ص 200 .

[2]- الزواوي بغورة ، الفلسفة و اللغة نقد المنطق اللغوي في الفلسفة ، دار الطليعة بيروت ، 2005، ص 12 .

[3]-جدار جيهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، دار المشرق ، بيروت لبنان ، 2003 ،ص 120 .

3- أن اللغة تتسم بالثبات على عكس الكلام الذي يتسم بالتنوع الفردي .
4- أن اللغة نظام اجتماعي و جوهري و مجرد و مستقل من الفرد بعكس الكلام الذي يتوقف على الإرادة و الذكاء عند الفرد .[1] أما المرحلة الثالثة فكانت مع فلسفة الفكر النقدي التفكيكي من أشهر رواد هذا الفكر "جاك داريدا" الذي عرض الأساس الميتافيزيقي و اللاهوتي لمفهومي الكلام و الكتابة ، ثم شرع في فحص مسألة الوصف اللساني للغة و المفاهيم التي يحاول الوصف بناءها ، و يأتي رأي "داريدا" كرد فعل على نظرية "دي سوسير" التي تقول أن العلاقة اللسانية هي وحدة الدال و مدلول .

و قد بين "دار يدا" أن هذا الزعم هو خداع فحسب لأن مفهوم الدال و المدلول في اللغة الذي جاءنا من اللسانيات هو صورة أخرى لمفهوم الكلام و الكتابة التقليدية ، و قد لاحظ "داريدا" في أثناء عرضه للعلاقة المتبادلة بين الميتافيزيقا و اللاهوت ما يأتي :

دائما ما يوحي مفهوم العلاقة من داخل ذاته بالفرق بين الدال و المدلول ،حتى إذ تم تمييزهما بانهما وجهان لعملية واحدة ، و لهذا السبب يبقى هذا المفهوم ضمن تراث مفهوم التمركز حول اللوغوس الذي هو في حقيقته تمركزا حول الصوت التقارب المطلق بين الصوت و اللاصوت و الكينونة.

و لهذا السبب فإن نسق اللغة الذي يقال أن اللسانيات جعلته علميا و أن البنيوية استعارته بحماس بوصفه نموذجا للنقد و هو حقيقته النسق القديم .[2]

أما المرحلة الرابعة فهي تلك التي مثلتها الفلسفة الفينومينولوجية و الهرمينوطيقا التي تعتبر اللغة أداة لتحقيق المصالحة بين الإنسان و ذاته و العالم الآخر و أنها قادرة على إنتاج المعنى و توليد الدلالة التي تمثل حقيقة الوجود و يمثل كل هذا الموقف كل من "ريكور" ، "ليفيناس" و "هابرماس" .

إن هذا التنوع في دراسة اللغة من زوايا مختلفة هو الذي يجعل من اللغة معضلة فلسفية تستدعي إعادة البحث و النظر و ذلك أن مهما بلغت أهمية الدرس اللساني و نضجه العلمي فإنه لا يمكن أن يصبح بديلا عن الدرس الفلسفي لأنه يبقى الدرس الذي يكشف عن مفاجآت اللغة و تشعب منعطفاتها ، و من هذا المنطلق لابد لنا أن نعود إلى البداية و نبدأ منها و سؤال البداية الأهم هو تحديد ما هذا الذي به يكون الإنسان إنسانا ؟ ما دلالته و كيف لنا أن نعتبر اللغة إمتيازا إنسانيا و فعلا رمزيا يبني بفعله عالما و يؤسس منظورا و رؤية في العالم من خلاله يصبح التواصل الإنساني ممكنا عبر وساطة اللغة ؟

لذلك يمكن أن نعتمد في العمل المراحل التحليل الآتي :

التحديد المفهومي للغة .
اللغة بما هي خاصية إنسانية .
المستوى اللساني للغة .
علاقة العلامة بالرمز .
اللغة و التواصل .[3]

1- **تحديد مفهومي** :

---

[1]- مصطفى الحداد ، اللغة و الفكر و فلسفة الذهن ، كلية الآداب ، تطوان - 1995 ، ص 10 .

[2]- محمد سباع ، الفلسفة الفيومينولوجية الوجودية عند موريس ميدلو ، إبن نديم للنشر و التوزيع،دار الرواد الثقافية ، ناشرون بيروت لبنان ، 2006 ، ص 111 .

[3]- مرتاض عبد الجليل ، المرجع السابق ، ص 30 .

يحدد المعجم الفلسفي اللغة هي مجموع من الأصوات المفيدة و هي ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم ، كما يحددها "الجرجاني" في كتاب التعريفات كما يحددها "لالاند" في معجمه الفلسفي بأنها " كل مجموعة رموز يمكن أن تستخدم لغاية التواصل " لذلك يمكن إعتبار اللغة نسق عضوي من العلاقات و هي منظومة رمزية منظمة على صعيدين كما وضح ذلك "إميل بنفنيست" من حيث كونها واقعة فزيائية تستخدم الجهاز الصوتي .

و من حيث أنها بنية معنوية رمزية إذ يقول "بنفنيست" في هذا السياق :" إن القدرة الترميزية هي أخص خصائص الكون البشري فاللغة ترتقي بالإنسان من مستوى الوجود الطبيعي المباشر إلى مستوى الوجود الثقافي و الرمزي بما هو خاصية إنسانية بامتياز و لعل هذا الأمر اعتبرت اللغة خاصة إنسانية و أنها ما تميزه على الحيوان و هي شرط التواصل الإنساني ".[1]

غير أن الواقع يكشف عن آليات أخرى للتواصل غير الكلام و الكلمات و ذلك بالحركات و الإشارات كما هو الحال عند الصم و البكم و الإيماءات الجسدية ، كما يتم أيضا في العلامات و الرموز و التي تحمل معان و دلالات مختلفة يستجاب لها بكيفية مناسبة (علامات و أضواء المرور...) ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف لنا أن يميز بين اللغة الإنسانية عن بقية أنماط التواصل الأخرى و خاصة عند الحيوان إذا ما علمنا أن هذا الأخير كما بينت الأبحاث و الدراسات و منها النحل مثلا له تنظيم اجتماعي دقيق يبني على توزيع الأدوار و يتواصل فيها بنية عبر الرسائل ؟[2]

2- **اللغة بما هي خاصية إنسانية** :

فاللغة عند "روني ديكارت" ملكة الإنسان عن تأليف الكلام و ترتيب الألفاظ المختلفة ليعبر بها عن المعاني العقلية التي يعج بها الفكر ، على أن لا يدخل في هذا التعريف ما يصدره الحيوان من أصوات و مقاطع صوتية لأنها لا تعبر عن فكر و لا يسبقها تفكير بل هي انعكاس شرطي لبنيته الطبيعية ، فاللغة هي تعتبر حد عن التفكير و تمكننا من بعض الألفاظ المحدودة أن تنتج إمكانيات تعبيرية متنوعة و وضعيات جديدة في حين يبقى التواصل الحيواني مجرد آلي فتواصل الحيوان هو غريزي وراثي ثابت محدود لا يتطور بينما اللغة الإنسانية مكتسبة كما يرى "بنفنيست" فالطفل كما يولد و يتطور في مجتمع إنساني و إنما يلقنه استعمال الكلام كائنان بشريان هما الأبواب و هي ظاهرة إبداعية بوصفها إمكانات لا محدودة للخلق التعبيري .[3]

لذلك لو أردنا بصفة مجملة أن نميز التواصل الإنساني عن التواصل الحيواني .

هل يمتلك الحيوان القدرة على الكلام أم أن الكلام خاصية إنسانية ؟

طرح هذا السؤال في الفلسفة الحديثة على عهد "دركارت " و برزت على الساحة الفكرية أنذاك أطرحتان : الأطروحة التي ارتبطت باسم"مونتيتنيMontaigne" والأطروحة التي دافع عنها الفيلسوف "ديكارت Descartes".

- بلور "مونتيني" أطروحته إنطلاقا من ملاحظة سلوك الحيوان ، حيث تبين له أن الحيوانات تتواصل فيما بينها بواسطة الإشارات ، و تتساءل عما إذا كان هناك فرق بين الكلام و بين قدرة الحيوانات على التعبير عن الألم و المتعة و الإستغاثة و التحذير من وجود خطر إلى ذلك من الأفعال التي تعبر عنها بأصواتها ، و انطلق من مصادرة مفادها أن اللغة معطى طبيعي و لما كانت معطى من المعطيات الطبيعية لزم أن تكون موجودة لدى جميع الكائنات الحية و من تم لا

[1]- زكرياء ميشال ، الألسنة علم اللغة الحديثة ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط2 1983 ، ص50 .
[2]- الرديني محمد علي ، فصول في علم اللغة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 2002 ، ص 60 .
[3]- صبري إبراهيم ، علم اللغة الإجتماعية ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 1995 ، ص 80 .

يمكن اعتبارها خاصية إنسانية ، و خلص إلى القول إن الحيوانات لها لغة خاصة بها ، و ذلك جعل نظام التواصل لدى الحيوان في نفس اللغة الإنسانية .[1]

انطلق "ديكارت" من نفس الملاحظات التي انطلق منها " مونتينيMontaigne " و لكنه طرح سؤال مختلف ، حيث نساءل عما كان التواصل بين الحيوانات مؤشرا يدل على أنها تتكلم ، مما دفعه إلى التفكير في خصائص اللغة الإنسانية بالمقارنة مع نظم التواصل الموجودة في عالم الحيوان ، و توصل إلى أن أهم خاصية من خصائص اللغة الإنسانية هي قدرتها على التعبير عن الأفكار ، إن الكلام الحقيقي في نظره هو الكلام الذي يحمل أفكارا كما وجد نفسه مضطر للبحث في طبيعة قدرة التعبير لذا الحيوانات فكان جوابه هو أن الحيوان لا يحتاج في ذلك لأكثر من الانفعال و استدل على ذلك بأن هدفه الوحيد في الحياة هو تلبية حاجاته الفيزيولوجية و لذلك لا يتجاوز سلوكه حدود رد الفعل المباشر تجاه المنبهات الخارجية .

إذا كانت اللغة عند الإنسان مكتسبة إبداعية فإنها عند الحيوان غريزية و ثابتة ، فإنه لو أخذنا مثال : النحل فسنقول أن النحل يتواصل و يؤدي رسائل لكن لا يحاور لأنه يجيب عن رسالة عن طريق تصرف في اتجاه واحد ، بينما اللغة الإنسانية تقوم على تبادل الرسائل بين الباث و المستقبل فهي حوارية بامتياز .[2]

أما في مستوى مضمون الرسالة فالحيوان يتواصل استجابة لحاجة بيولوجية أما الإنسان فمضمونه تواصله متعدد و متنوع و يشمل كل الموضوعات العاطفية و البيولوجية و الثقافية و الدينية و الجمالية .

ومن حيث القابلية للتحليل فالتواصل الحيواني مضمون إجمالي غير قابل للتمفصل عل عكس اللغة الإنسانية القابلية للتمفصل و التفكيك.

من خلال هذه المقارنة بين التواصل عند الحيوان و التواصل عند الإنسان نستنتج أنه ليست للحيوان لغة بل كل لديه شفرة للإشارات كما حددها "بنفنيست" و تبقى اللغة بهذا المعنى امتيازا إنسانيا فإذا كانت اللغة خاصية الإنسان كما حددها الفلاسفة فكيف ستحدد الألسنية و تتعامل مع الظاهرة اللغوية ؟[3]

3- المستوى اللساني للغة :

عرف "ديسوسير" الكلام بأنه الممارسة الفردية المنطوقة ، أي هو فعل ملموس و نشاط شخصي يمكن ملاحظته بمراقبة الكلام أو الكتابة فالتكلم هو أن يقول الإنسان شيئا ما لشخص آخر ، فينتج عن هذا الكلام هو القدرة على التفاهم بين الناس عن طريق علامات صوتية نتيجة لغة محددة نميز في اللغة بين اللسان و الكلام ، فاللسان هو نظام من العلامات تستعملها مجموعة بشرية للتواصل و تجمع العلامة بين الدال و المدلول ، أما الكلام فهو الاستعمال الفردي للسان و من شروطه : وجود لغة محددة ، وجود قدرة على التعبير عن شيء مادي كان أم معنوي ، بنية التبليغ و التواصل و التفاهم بحيث يسبق ذلك تفكير و إرادة ، و قصد إلى غاية محددة ، أن يكون التعبير رد آلي خال من القصد ، كما هو الحال في عالم الحيوانات القدرة على الكلام من خلال شروط نفسية كالسلامة من الإضطرابات العقلية المعيقة كمرض "الحبسة اللفظية" و الذي يؤدي إلى صعوبة استدعاء الكلمات في القول أو الكتابة ، فيختل التركيب ، كما هو مجموع ما يقوله

[1]-شوملي قسطندي ، اللغة و الإتصال بين الإنسان و الحيوان ، دار المعرفة ، بيروت لبنان،1992 ، ص 12 .
[2]- الفيصل سمرروحي و آخرون ، مهارات الإتصال في اللغة العربية ، دار الكتاب الجامع ، ط1 ، 2004 ، ص 120 .
[3]- الخويسكي زيد كامل ، لسانيات من اللسانيات ، دار المعرفة ، الأزايطة ، 1997 ص 40 .

الناس بصفة فردية و يتميز بالحرية و التنوع ، فالكلام بهذا المعنى يمثل عالم الذاتية و من خلاله تكشف الذات عن ذاتها لذاتها و للآخر .[1]

ونحدد خصائص اللسان : هو مؤسسة اجتماعية ، إلزامي و قاهر فهو ظاهرة سلطوية سابق على وجود الأفراد يقول "رولان بارت" اللغة سلطة تشريعية اللسان قانونها ، فاللسان لا يعترف بمقولة الحرية .

فاللسان في المعنى الاصطلاحي يطلق على لغة محددة تتكلم بها جماعة معينة من الناس ، ضمن قواعد و قوانين مضبوطة ، له وجود إجتماعي مستقل عن الأفراد الذين يتكلمون و من هذا فاللسان أخص من اللغة مثال ذلك اللسان العربي في مقابل اللساني الفرنسي... أما اللغة فتطلق على النشاط اللغوي الإنسان سواءا كان رمزا صوتيا أو مكتوبا أو إشارة...

لقد تبث بهذا المعنى أن اللغة خاصة إنسانية و ليست أصوات بقدر ما هي نسق من العلامات و الرموز اللسانية يستعملها الإنسان للتعبير عن حاجياته و من الأشياء المحيطة به الأمر الذي يذل على وجود علاقة بين اللغة و الأشياء فكيف تتحول الأشياء إلى علامات و رموز لسانية ؟ و كيف تبدو علاقة الأسماء بالأشياء هل هي ضرورية أم اعتباطية ؟ بمعنى آخر كيف تنشأ الدلالة و المعنى ؟ هل بصفة تلقائية و طبيعية ؟ أم بالمواضعة و الإتفاق ؟ كيف تتحدد علاقة العلامة بالرمز ؟[2]

[1]- علي محمد ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1980 ، ص 142 .
[2]- الخويسكي زين كامل ، المرجع السابق ، ص 126 .

4- علاقة العلامة بالرمز :

لعل ما يميز الإنسان ليس الفكر فقط على تشكيل و بناء عالم رمزي متعدد الألوان ، فقد أنشأ الإنسان خيوطا متنوعة ساهمت في حياكة عالمه الرمزي ، فالإنسان إذن كائن رامز يبدو لنا من خلال هذا الطرح أن العلامة هي الرمز ذاته،غير أننا إذا نظرنا إليهما على مستوى طبيعة علاقتهما بالأشياء فإننا سنكتشف أنهما يختلفان فأين يظهر هذا الإختلاف ؟[1]

يقول "هيجل" الرمز هو قبل كل شيء علامة ، لكن في العلامة تكون العلاقة التي تربط العلامة بالشيء الذي تدل عليه إعتباطية ، فالرمز يدخل في علاقة طبيعية مع ما يرمز إليه و لكن يشترط لكي يبقى رمزا أن يمثله على نحو كامل أما العلامة فعلاقتها مع ما ترمز إليه إعتباطية ، و يفسر لنا هيجل هذه الصلة الطبيعية بين الرموز و الشيء بالمثال التالي : عندما نرمز للقوة بالأسد و المكر بالثعلب فلأن. الأسد و الثعلب يمتلكان في ذاتيهما الخصائص الطبيعة التي يفترض فيهما أنهما يعبران عنمعنى القوة و المكر،و هكذا لا نستطيع أن نستبدل مثلا الأسد (الدال) بحيوان آخر لأننا لو فعلنا ذلك لتغير المدلول حتما[2].أما العلامة اللسانية فعلاقتها بما تعبر عنه هي علاقة إعتباطية لأننا نغير الدال (المتوالية الصوتية) و لن يتغير المدلول و السبب في ذلك يعود أساسا إلى إختلاف و تعدد اللغات و الألسن ، غير أن "بنفنيست" يعتبر هذه العلاقة بين الدال و المدلولة ضرورية لأنهما متحدان و متكاملان و وجهان لمعنى واحد و العلاقة بينهما جوهرية ضرورية،فهو يؤكد على وجود تماثل بينهما لا يمكن الفصل بينهما فالدال هو الترجمة الصوتية للمفهوم و المدلول هو المقابل الذهبي للدال فإن العلاقة الضرورية تبين الصورة الذهنية لكلمة ثور و مجموعة الأصوات المتتالية (ث – و - ر) ، فالمفهوم المدلول ثور ماثل في وعيي بالضرورة للمجموع الصوتي (الدال) = الثور .

في الحجة الدالة على هذه العلاقة الضرورية بينهما هو أنه بمجرد رؤيتنا أو إستحضارنا لأحدهما ، إلا واستحضرنا العنصر المرتبط بهفكلاهما نقشا في ذهني و كل منهما يستحضر الآخر في كل الظروف ، ثمة بينهما إتحاد وثيق إلى درجة أن مفهوم ثور هو بمثابة روح الصورة الصوتية (ث- و- ر) ، لا يمكن للذهن الإنساني أن يحمل مفاهيم ليس لها مقابل يمكن للإنسان التعرف عليه و إدراكه ، فجميع مفاهيم الذهن الإنساني هي أسماء لمسميات ، و لا يمكن لهذا الأخير أن يقبل بأسماء هو يجهل في الواقع ما توحي به .

فإذا كانت اللغة أداة الإنسان للتعبير عن أفكاره و التواصل بها مع الآخر فإن الفكر بدون اللغة يبقى على حد تعبير "دي سوسير" كتلة سديمة لا شكل له و لا صورة ، الأمر الذي يعني أن اللغة وحدها هي شكله و صورته التي سيوجد عليها ، فاللغة شرط أنطولوجي للفكر ، و يحاول "دي سوسير" الإجابة على إشكال يدور حول علاقة الدال و المدلول ، مستهلا بذلك نقده للأطروحة الطبيعية و تفنيد عناصرها مبينا أنها تعتمد على وجود المعاني الجاهزة و تقربأسبقية المعنى على اللفظ ، كما أنها لا تهتم بتحديد طبيعة اللفظ و ماهيته و تعتبر أن علاقة الإسم بالمسمى هي علاقة بسيطة بعد ذلك يشرع في الدفاع عن أطروحته المغايرة و يرى بأن الدلالة لا تربط الإسم بالمسمى بل توجد بين تصور و صورة سمعية ، أي بين الدال و المدلول مؤكدا على البعد السيكولوجي في هذا المجال ، إذن فالدلالة هي التركيب المكون من الدال و المدلول و العلاقة بينهما هي علاقة إعتباطية و السبب في ذلك هو إختلاف الألفاظ بإختلاف الألسن ، فالدال (ا- خ-

[1]- فردينات دي سوسير ، محاضرات في الألسنة العامة ، ترجمة يوسف غازي ، و آخر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1986 ، ص 72 .

[2]- أحمد مختار ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ، 1992 ، ص 12-16

ت) لا تربطه أي علاقة ضرورية بمفهوم القرابة الذي يعبر عنه ، لأن كل إنسان يرسم الدال بالطريقة التي يتواضع عليها أفراد الجماعة ، من هنا يستنتج "دي سوسير" أن عملية الدلالة خاضعة للمواضعة و الإتفاق لأن المجتمع هو الذي يتبع العلاقة و يعطيها دلالتها .

كما أن نظرية المحاكاة عند "أفلاطون " تبنى على أساس أن لكل وجود إسم يضمه بطبيعته ، فإما أنه متضمن في صوته أو في صورته أو في أحد أعراضه الأخرى كاللون مثلا ، و أفلاطون يرى بأن عملية المحاكاة تتطلب العلم بماهية الشيء مادام بكل وجود ماهية ، و بهذا يكون قد فتح المجال لنسقه الفلسفي الذي يرى بأن الوجود المادي ليس هو الحقيقة و إنما هو نسخة أو محاكاة لتلك الحقيقة .[1]

لعل أهم مكسب حقيقة الدراسات اللسانية المعاصرة هو تأكيدها على أن الفكر يتشكل لسانيا إلا أن "ميرلوبونتي" و إن كان قد حافظ على هذا المكسب فإنه يرفض العلاقة الميكانيكية التي أسسها"دي سوسير" بين اللغةوالفكر .

و تمكن "ميرلوبونتي" من تحقيق قفزة في مجال علاقة الفكر باللغة لدرجة تطابقي مع اللغة و معلوم أن هذا الإعتقاد يؤدي إلى استنتاج أن اللغة قادرة على التعبير على جميع أفكارنا فإن الإشكال الذي يطرح هنا هل حقا تستطيع اللغة أن تعبر بكل حياد و شفافية عما نريد قوله أم أنها في حقيقتها ما هي إلا مجال تختفي فيه رغبة الهيمنة و السيطرة و تسوية ؟[2]

5- **اللغة و التواصل** :

تؤدي اللغة دورا مهما في الحياة الإنسانية و في التواصل الإجتماعي لا يدانيها في ذلك أية وسيلة أخرى من وسائل التواصل الإنساني كالرموز و الإرشادات و الصور و الرسوم ...، و لذلك يعرف الإنسان بأنه حيوان رمزي ، أي يستخدم اللغة و قد ربط علماء الإجتماع بين الحياة البشرية و اللغة ، قال أحدهم إن الحياة الإنسانية مرتبطة بعاملين مهمين هما : اللغة و العمل .[3]

و يعتبر التواصل احد أهم المفاهيم المرتبطة بالإنسان دون غيره من الكائنات لدرجة يمكن معها القول أن التواصل هو الحياة و لا يمكن أن يوجد حي من دون تواصل ، فالإنسان يتواصل منذ أن يكون جنينا في بطن أمه مع الأصوات التي سمعها من الخارج و خاصة صوت والديه ، فالتواصل حاجة ملحة مثلها مثل الحاجات البيولوجية التي ينبغي إشباعها فالتّواصل يعدّ وسيلة لتحقيق الأهداف وإنجاز الأعمال، فالإنسان حين يضع نصب عينه هدفًا معيّنًا فإنّه لا يستطيع تحقيقه بدون أن يتواصل مع غيره من النّاس، فجهود النّاس مسخّرة لخدمة بعضها البعض، كما أنّ سنّة الحياة الدّنيا مبنيّةً على التّعاون وتبادل الخبرات والمهارات بين النّاس فكلّ واحدٍ لديه شيء يميّزه عن أخيه؛ وبالتّالي يشكّل التّواصل فرصةً لتبادل المهارات والخبرات التي تؤدي بالنّتيجة إلى تحقيق الأهداف وإنجاز الأعمال. كما أنّ التواصل يعدّ وسيلة لإيصال الرّسالة، فقد استخدم الأنبياء أسلوب التّواصل مع أقوامهم من أجل إيصال رسالة الله سبحانه وتعالى للبشر وتبليغ شرائعه وتعاليمه للنّاس، كذلك يستخدم المعلم والمربّي أسلوب التّواصل حين يريد إيصال رسالة التّعليم إلى طلابه وشرح العلوم المختلفة لهم، وهذا الأسلوب ينطبق على كثيرٍ من النّاس الذين يحملون رسالة نبيلة في حياتهم ويودّون توصيلها إلى النّاس.

---

[1]- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1996 ، ص 232 .

[2]- أحمد مختار ، المرجع السابق ، ص 30 .

[3]- عز الدين البوشيخي ، التواصل اللغوي ، مقتربة لسانية وظيفية دار لبنان ناشرون ، 2003 ،ص 130 .

يحدد التواصل بمعنى التبليغ المتبادل للأفكار و الأحاسيس و الخبرات و الإنسان بوصفه حيوان إجتماعي يحتاج لتواصل مع الآخر فما مدى وجاهة اللغة عل تحقيق هذا الفعل (التواصل)؟[1]

يعتبر (نيتشه) أن الإنسان إبتكر المفاهيم و الكلمات لتمديد أوهام العقل حول الحقيقة المطلقة و الذات العاقلة و لتحجب براءة الصيرورة فكل الأنظمة الرمزية حسبه أدوات تمويه و حجب للوجود و إخفاء للرغبة في الحياة لذلك يقول "فرويد" لقد جعل الكلام لنخفي ما نريد كما يعتبر "برجسون" أن اللغة عاجزة عن التعبير و يقول في هذا السياق "إننا لا نرى الأشياء ذاتها بل تكتفي بالبطاقات الملصقة عليها" و يقصد هنا الأسماء .[2]

عندما نقارن ألفاظ اللغة المحدودة بحالات الإنسان الشعورية فإننا نكتشف أن مشاعرنا شلال مياه جارف لا يمكن أن تعبر عنه بعض الألفاظ المحدد ، ننتهي إذن إلى أن مسألة اللغة و التواصل مسألة لا ينتهي فيها اللسان و لا فلسفة إلى جواب نهائي ذلك أن اللغة بقدر ماهي شرط ضروري للتواصل بين الذوات،فإن الخوف منإنقلابها إلى أداة لممارسة العنف و الهيمنة و السيطرة قد يحولها إلى أداة لا تواصلية بما يدفعها إلى البحث عن وسائل أخرى للإتصال و التواصل تكون أكثر براءة و حيادية و إنسانية ، فهل يمكن مثلا أن تكون الصورة أصدق بناءا من اللغة مثلا؟[3]

خلاصـــــة :

إن للغة عمل إجتماعي يطبع لسان كل فرد من أفراد الجماعة ، فالجماعة هي التي تحدد دلالة اللغة و في هذه الدلالة يلتقي الأفراد ،كما أنها تميز الإنسان،ليس باعتباره كائنا بيولوجيا بل خصوصا يملك القدرة على التفكير ولكونه يستطيع بفضل نشاطه الرمزي أن يخلق لنفسه عالما رمزيا يبعده عن السلطة المادية للأشياء، فيكتسبها بالتدريب ثم ينقلها إلى غيره فإذا كان الفرد لا يمكنه أن يكونها وحده ، فإنه لا يمكنه أن يستغني عن إستعمالها ، كما تمكن من تحقيق التواصل بشكل أحسن و لهذا مازال الناس يتواصلون على المصطلحات العلمية و غيرها من أجل التواصل و التفاهم بشكل أفضل و أدق .

[1]-احمد مختار ، المرجع السابق ، ص 35 .
[2]- فريدريك نتشيه ، هذا هو الإنسان ، دار التنوير للطباعة و النشر ، 2013 ، ط1 ص 30 .
[3]- علي محمد ، المرجع السابق ، ص 126 .

المراجـــع والمصـــادر:

1- مرتاض عبد الجليل ، اللغة و التواصل ، دار الهومة الجزائر ، 2000 .
2- يول جورج ، معرفة اللغة ، ترجمة محمود حافظ ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ط1 2000 .
3- محجوب فاطمة ، دراسات في علم اللغة ، دار النهضة ، القاهرة ، ط1 ، 2004 .
4- محسن محي الدين ، انفتاح سنة اللساني ، دار الفرحة ، القاهرة ، 2003 .
5- الزواوي بغورة ، الفلسفة و اللغة نقد المنطق اللغوي في الفلسفة ، دار الطليعة بيروت ، 2005.
6- جدار جيهامي ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، دار المشرق ، بيروت لبنان ، 2003 .
7- مصطفى الحداد ، اللغة و الفكر و فلسفة الذهن ، كلية الآداب ، تطوان ـ 1995 .
8- محمد سباع ، الفلسفة الفيومينولوجية الوجودية عند موريس ميدلو ، إبن نديم للنشر و التوزيع،دار الرواد الثقافية ،
ناشرون بيروت لبنان ، 2006 .
9- زكرياء ميشال ، الألسنة علم اللغة الحديثة ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط2 1983 .
10- الرديني محمد علي ، فصول في علم اللغة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 2002 .
11- صبري إبراهيم ، علم اللغة الإجتماعية ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، 1995.
12- شوملي قسطندي ، اللغة و الإتصال بين الإنسان و الحيوان ، دار المعرفة ، بيروت لبنان،1992 .
13- الفيصل سمرروحي و آخرون ، مهارات الإتصال في اللغة العربية ، دار الكتاب الجامع ، ط1 ، 2004
14- الخويسكي زيد كامل ، لسانيات من اللسانيات ، دار المعرفة ، الأزايطة ، 1997 .
15- علي محمد ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1980 .
17- فردينات دي سوسير ، محاضرات في الألسنة العامة ، ترجمة يوسف غازي ، و آخر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ،
الجزائر ، 1986 .
18- أحمد مختار ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ، 1992 .
19- أحمد محمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1996 .
20- عز الدين البوشيخي ، التواصل اللغوي ، مقتربة لسانية وظيفة دار لبنان ناشرون ، 2003.
21- فريدريك نتشيه ، هذا هو الإنسان ، دار التنوير للطباعة و النشر ، 2013 ، ط1 .